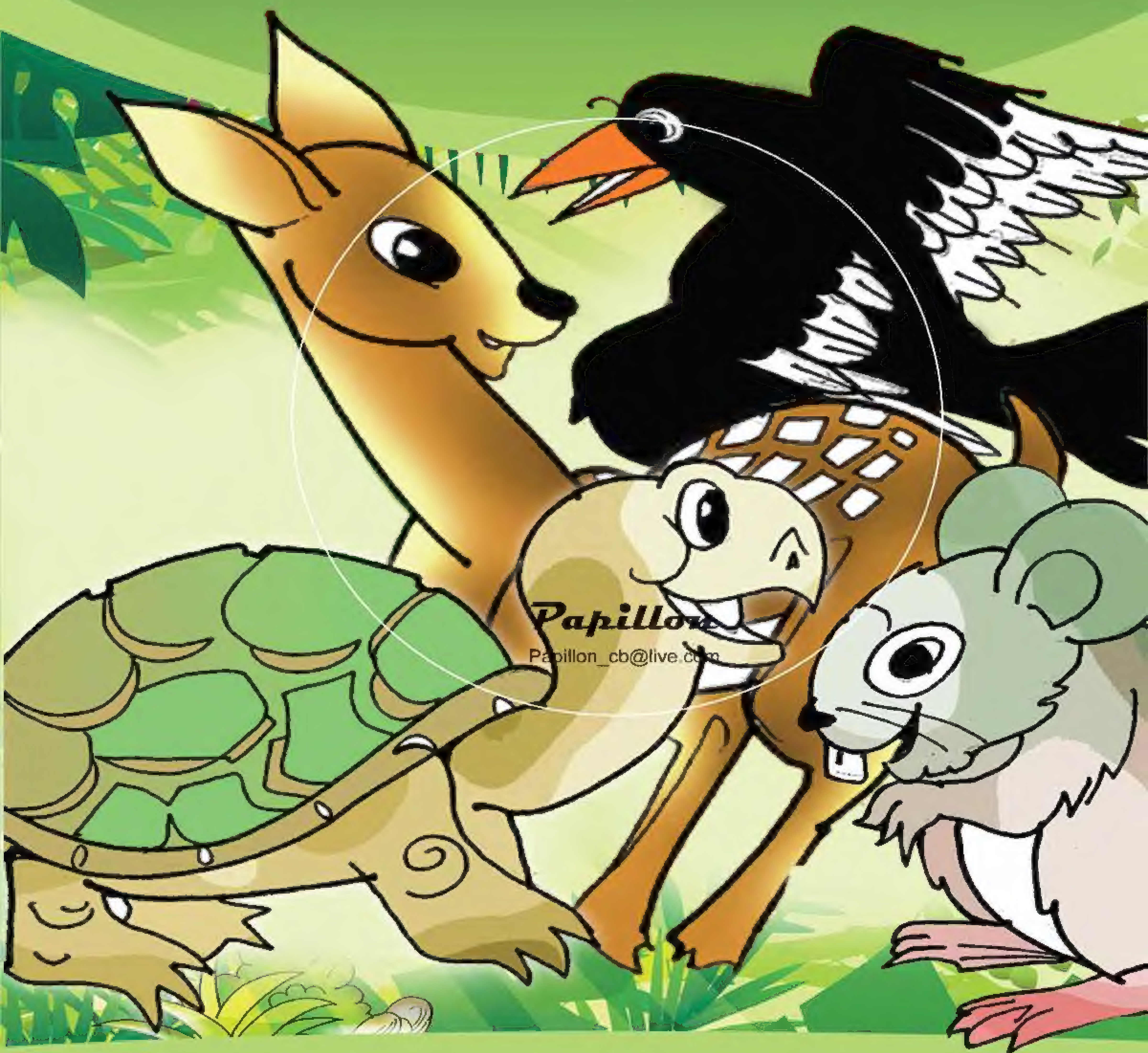
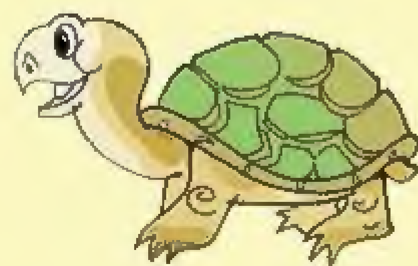
سلسلة قصص كليلة ودمنة

الأصدقاءُ الأربعةُ





الْتَقى غُرابٌ  وفَأْرٌ  وَسُلَحْفاةٌ

 وتَعاهدُوا عَلى الصَّداقَةِ والإخْلاصِ في ما بَيْنَهُمْ، وعلى أن يَخافَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُمْ على الآخَرِ ويَسْأَلَ عَنْهُ وَيُساعدَهُ.

وبَيْنما هُمْ مَعاً ذاتَ يَوْمٍ، أَقْبَلَ نَحْوَهُمْ فَجْأَةً ظَبْيٌ يَجْرِي فَذُعِرَتِ السُّلَحْفاةُ وَغاصَتْ في الماءِ ودَخلَ الفَأرُ جُحْرَهُ بِسُرْعَةٍ وطارَ الغُرابُ إلى أعْلى شَجَرَةٍ مُجاورةٍ. وَبَعْدَ بُرْهَةٍ، حَلَّقَ الغُرابُ في السَّماءِ لِيَنْظُرَ هَلْ يُلاحقُ الظَّبْيَ  صَيَّادٌ؟

ولمَّا لم يَرَ أحداً نَادى على صَدِيقَيْهِ الفَأرِ والسُّلَحفاةِ لِيَخْرُجا قَائِلاً لهما:

”إنَّنِي لمْ أَجِدْ أَحداً يُطارِدُ الظَّبْيَ!“.



ولمّا وَجدَتِ السُّلَحْفاةُ الظَّبْيَ  خَائِفاً مُتَرَدِّداً

وهُوَ يَرْقُبُ ماءَ الغَدِيرِ، قَالَتْ لَهُ:

"اشْرَبْ إنْ كانَ بِكَ عَطشٌ... ولا تَخْشَ عدُوّاً".

ثُمَّ رَحَبَّتِ السُّلحفاةُ  بالظَّبْيِ وسَأَلَتْهُ:

"مِنْ أَينَ أَقْبَلْتَ؟".

"كُنْتُ أَبْحثُ بِهذِهِ الصّحارى عَنْ طَعامٍ، وكُلَّما

تَوَجَّهْتُ إِلى بُقْعَةٍ مِنَ الأَرْضِ تَعَرَّضَتْ لي أُسُودٌ

كاسِرةٌ... واليَوْمَ رَأيتُ شَبَحاً فَظَنَنتُهُ صَيَّاداً".

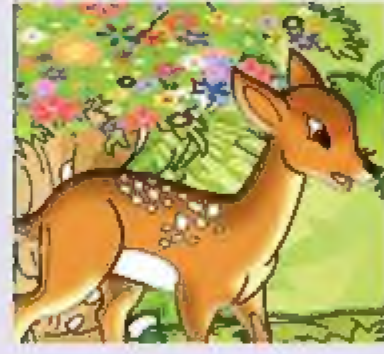
"لا تَخَفْ... فنحنُ لمْ نُشاهِدْ في هذا المَكانِ صَيَّاداً

قط، فَعِشْ مَعَنا في أَمانٍ ومَودَّةٍ".

وأَضافَ الفَأرُ والغُرابُ قائِلَيْن:

"كُنْ مُطمئناً، فالماءُ والعُشْبُ هنا مُتَوافِرانِ".



شَكَرَ الظَّبْيُ  السُّلَحْفاةَ والغُرابَ والفَأرَ على حُسنِ استِقْبالِهِمْ لَهُ ومُوافقَتِهِمِ الطَّيِّبَةِ عَلى أَنْ يَعِيشَ في صُحْبَتِهِمْ. وَفي خِلالِ مُدَّةٍ قَصيرَةٍ، صَنَعَ الأَصْدِقاءُ الأَرْبعةُ عَريشاً يَجتمعونَ فِيهِ وَيَتَحدَّثُونَ بِمَا رَأوهُ أَوْ سَمِعُوهُ عَنْ سُكانِ المِنْطَقَةِ من الحَيَوانات.

وفي يَومٍ مِنَ الأَيَّامِ تَأَخَّرَ الظَّبْيُ عنِ الحُضورِ إلى العَريشِ، فَخافَ أَصْحابُهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ قد أَصابَهُ مَكْرُوهٌ!... لِذا طَلَبَتِ السُّلَحْفاةُ  والفَأْرُ من الغُرابِ أَنْ يَنْطَلِقَ في الجَوِّ لِيَسْتَكْشِفَ مَا حَدَثَ. ولَمَّا نَفَّذَ رَغْبَتَهُما وَجدَ الظَّبْيَ مَأْسُوراً في شَبَكَةِ صَيّاد، فَهَبَطَ بِسُرْعَةٍ لِيُخْبِرَهُما بِمَا رأى، وقَالَ لِلفأرِ  :



"هَذا أَمْرٌ لا يُرْجى فِيهِ غَيْرُكَ... أَغِثْ أَخاكَ...".

فَسَعى الفَأْرُ على عَجَلٍ حَتَّى وَصَلَ

إلى الظَّبي فَوَجدَهُ يَتَخبَّطُ بَيْنَ حِبالِ الشَّبَكةِ

وَيَبْدُو عَليهِ اليَأْسُ مِنَ النَّجَاةِ...

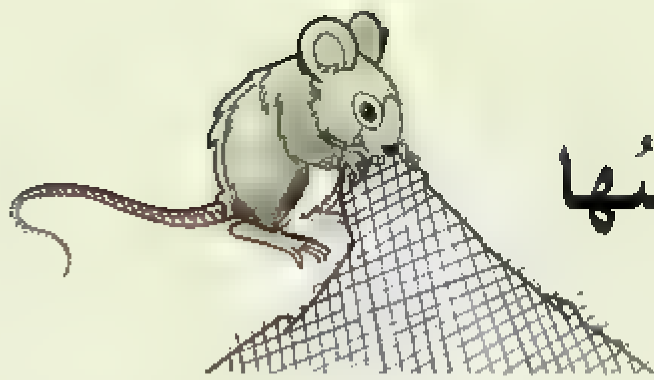
حِينَئذٍ قَالَ لَهُ الفَأْرُ:

"كَيفَ وَقَعتَ في هَذهِ الوَرْطَةِ يا صَدِيقي، وأَنْتَ ذَكِيٌّ حَذِرٌ؟".

"وهَلْ يُغْنِي الحَذَرُ مِن المَقادِيرِ شَيْئاً؟".

"المُهِمّ هُوَ أَنْ تُخَلِّصَني مِنْ هَذا المَأْزِقِ الصَّعْبِ".



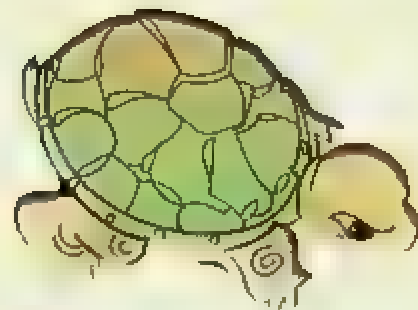


وَعَكفَ الفَأْرُ على الحِبالِ يَقْرِضُها

واحِداً إِثْرَ آخَرَ، بَاذِلاً كُلَّ جَهْدِهِ وَقُوَّتِهِ في سَبيلِ إِنْقاذِ

زَميلِهِ...

لَكِنْ بَيْنَما هُوَ مشغولٌ في عَمَلِهِ الشّاقِّ، أَقْبلتِ

السُّلَحْفاةُ  تَمْشي بِبُطئِها المَعهُود،

فقالَ لها الظَّبْيُ :

" لَقدْ أَخطأتِ بِمجيئِكِ إلينا...





لأنَّ الصَّيادَ إذا حَضرَ فسَوفَ

أَعْدُو بَعْدَ اسْتِردادِ حُريَّتي ، وَسَيَخْتَفِي الفَأْرُ في جُحْرٍ

قَريبٍ ، وسيَطيرُ الغُرابُ

في السَّماءِ...

أمَّا أَنْتِ فَثَقِيلةٌ لا حَركةَ لَكِ، وَأَخْشَى عَلَيْكِ من

الصيّادِ!"

قَالَتِ السُّلَحْفاةُ :

"لا حَياةَ مَع فُراقِ الأَحِبةِ... فالأَليفُ إذا فَقدَ أَلِيفَهُ،

فَكَأنَّما فَقدَ بَصرَهُ وقَلْبَهُ".

وَفي أَثْناءِ هَذا الحَديثِ، كانَ الفَأْرُ قد انْتَهى مِن قَطْعِ

الشَّبكةِ، بينما الصَّيادُ يَقْتَرِبُ قادِماً إلى المَكانِ.



فَجَرى الظَّبْيُ  واخْتَبأَ  الفأرُ

وطارَ  الغُرابُ ولم يبقَ سِوى السُّلَحْفاةِ، ولَما

دَنا الصَّيادُ منَ الشَّبَكةِ  ألفاها مُقطَّعَةً،

فَنظَرَ يَميناً وشِمالاً فلم يَعْثُرْ إلاّ على السُّلَحْفاةِ تَدِبُّ

فَأَمْسَكَ بها ورَبَطَها.



حَزِنَ الفَأْرُ والغُرابُ والظَّبْيُ على

السُّلَحْفاةِ، وقَالَ الفَأرُ:

"ما أرانا نَفْلِتُ مِنْ مُشْكلةٍ إلا وَجَدْنا أَنفُسَنا نَهْوِي في

مُشْكِلةٍ أَشَدَّ مِنْها. يا لَلْخسارةِ... إنَّ السُّلَحْفاةَ كَرِيمةٌ

وشَرِيفَةٌ ومُخْلِصَةٌ".

وهُنا قَاطَعَهُ الظَّبْيُ قَائِلاً: "لا دَاعِي لِلكَلامِ فَهُوَ لن

يَنفعَ السُّلَحْفاةَ. وقَديماً قِيلَ: إنَّما يُخْتَبرُ النَّاسُ عِندَ



البَلاءِ ، ويُخْتبرُ ذو الأَمانَةِ عِندَ الأَخْذِ والعَطاءِ، كَما يُخْتبرُ الإِخْوانُ عِندَ المَصائبِ!".

قَالَ الفَأرُ: "لا بُدَّ مِنْ حِيلَةٍ!!".

وسَأَلَ الظَّبْيُ بلَهْفَةٍ: "ما هِي؟!".

قَالَ الفَأرُ:



"عَليكَ أيُّها الظَّبْيُ أنْ تَقْتَربَ مِنَ الصَّيادِ في صُورَةٍ تُظْهِرُكَ كَأنّكَ جَرِيحٌ، أما الغُرابُ فَيقَعُ على ظَهْرِكَ  كَأنَّهُ يَأْكُلُ مِنكَ، وأَسْعى أنا فَأَكُونُ قَرِيباً مِنَ السُّلَحْفاةِ  ، فَإنْ طَمِعَ الصَّيادُ فِيكَ ابْتَعِدْ عَنهُ رُوَيْداً رُوَيْداً ، وكُلَّما اقْتَربَ مِنْكَ ابْتَعِدْ عَنهُ قَلِيلاً بِحيثُ لا يَنْقَطِعُ طَمَعُهُ فِيكَ حتَّى يُصْبِحَ بَعِيداً.



وفِي أَثْناءِ ذَلِكَ أَكُونُ قَدْ قَرَضْتُ الحِبالَ التي تَرْبِطُ السُّلَحفاةَ صَدِيقَتَنا. وَنَفَّذَ الظَّبيُ والغُرابُ الخُطَّةَ واستَطاعَ الفَأرُ أَنْ يَقْطَعَ الحِبالَ. ولمَّا عادَ الصَّيادُ مُتْعَباً بِسَببِ جَرْيِهِ وَراءَ الظَّبيِ لَمْ يَجِدِ السُّلَحفاةَ وإنَّما وَجدَ حِبالَهُ مُقَطَّعَةً. هُنَا فَكّرَ في أَمْرِ الظَّبيِ والغُرابِ الذي يَنْقُرُ لَحْمَهُ، والسُّلَحفاةِ التي يُساعِدُهَا فَأْرٌ، فَقالَ: "هَذهِ أَرضُ جِنٍّ أو سَحَرةٍ... لَنْ أَعُودَ إِليها ثَانيَةً!...".

بَعدَ مُغادَرةِ الصَّيَّادِ المكانَ، اجْتَمعَ الغُرابُ والظَّبيُ والفَأْرُ والسُّلَحفاةُ في عَريشِهِمْ آمِنينَ يَحُوطُهُمُ الودُّ والتَّعاوُنُ والوَفاءُ مُعاهِدينَ أَنْفُسَهُمْ عَلى البَقاءِ أَصْدِقاءَ إِلى آخرِ العُمرِ.